النظم الاجتماعية والتوزيع الاقليمي والتنمية

للجماعات في حوض سد حديثة وخزانها[1]

الدكتور علاء الدين جاسم محمد
قسم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة بغداد

تمهيد :

لقد اعدت هذه الدراسة لتبين العلاقة بين النظم الاجتماعية والتوزيع الاقليمي للجماعات في حوض سد حديثة ، وخزانها ، تكملة لدراسة سابقة[2] وجزء من دراسة شاملة تقوم بها هيئة التخطيط الاقليمي لتنمية المجتمعات المحلية في اقليم أعالي الفرات بصورة عامة ، والجماعات الاقليمية في سد حديثة وخزانها بصورة خاصة حيث ان هذه الجماعات سوف تتعرض الى تغيرات اجتماعية وحضارية عميقة وكثيفة، تتناول جميع نظمها وعلاقاتها وتفاعلاتها وقيمها وأعرافها وأنماطها السلوكية وأساليبها الحياتية ، وبحكم أنغمار مستوطناتها بمياه الخزان عند الانتهاء من العمل فيه في نهاية عام ١٩٨٢ ، وأنتقالها الى مستوطناتها الجديدة ، التي يجب تخطيطها وتصميم المساكن فيها ، بحيث تسهم في أذابة النظم والانماط الاجتماعية والحضارية والعشائرية التقليدية وتزيد من درجة تكيف هذه الجماعات بعضها لبعض ولنماذج السكن الجديد . وتتيح فرص أستخدام القوى العاملة فيها ، وتقلل من المشكلات التي قد تخلق ، الى أقصى حد ممكن .

اولا : خطـة الدراسة

١ ـ اهداف الدراسة :

يمكننا أن نحدد الاهداف الرئيسية التي نسعى لتحقيقها في هذه الدراسة بما يأتي : ـ

أ ـ التعرف على العلاقة والتأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية والتوزيع الاقليمي للجماعات ، لنتمكن من أن نسترشد بها في تخطيطنا للمجتمعات المستحدثة في السكن الجديد .

ب ـ تحديد الخصائص البنائية والحضارية للجماعات الاقليمية ودرجات التحضر ، والانغلاق والانفتاح والحراك الاجتماعي[٢] العمودي والافقي فيها لنتمكن من خلالها تحديد قابليات الاهالي لتقبل الحركة والانتقال لنماذج السكن في المستوطنات الجديدة .

جـ ـ تحديد عوامل الركود والجمود والتخلف الاجتماعي والحضاري التي تتميز بها هذه الجماعات من أجل الاسهام بتغييرها وتبديلها أو تعديلها عند الانتقال ألى المستوطنات الجديدة المستحدثة .

د ـ التعرف على العلاقة بين التوزيع الاقليمي للجماعات ، وتكلفة الخدمات العامة والتسهيلات المنزلية من أجل الاسترشاد بها عند التخطيط للمستوطنات السكنية الجديدة .

هـ ـ تحديد التغييرات الاجتماعية والحضارية وأتجاهاتها ومساراتها من أجل التحكم فيها وتوجيهها وفقا لمتطلبات التنمية الاقليمية لأقليم أعالي الفرات ، وتبعا لخطط التنمية القومية في القطر .

٢ ـ مجال الدراسة :

تناول مجال هذه الدراسة المجالات الآتية : ـ

أ ـ المجال الجغرافي :

ويشمل هذا المجال المكاني ، منطقة حوض خزان حديثة ، وتبلغ مساحة هذه المنطقة ٤١٥كم٢ وتمتد مع محاذاة السهل الرسوبي المحاذي لنهر الفرات مسافة ١٣٠كم من قرية (أبو شابور) ألى قرية (الحسينية الشرقية)[٤] . كما مبين في الخارطة رقم (١) و(٢)

ب ـ المجال البشري :

اقتصر هذا المجال على الجماعات الاقليمية[٥] في حوض حديثة وخزانها ، والتي يبلغ عددها (٦٨) ثمانية وستين جماعة اقليمية منها (٦٦) ست وستون قرية[٦] ومدينتين[٧] . بلغ مجموع سكانها ٣٥ر٤٠٠ نسمة .

ج ـ المجال الزمني :

استغرقت الدراسة الحقلية ، (٣١) واحدا وعشرين يوما ، اسبوع واحد منها في شهر مايس من عام (١٩٧٥) واسبوعان في شهر ايلول من نفس العام .

اما المادة الدراسية بكل ابعادها الاجتماعية والحضارية والاقليمية فانها جمعت خلال الثلاث اشهر التالية لشهر ايلول .

٣ ـ منهج الدراسة :

لكل دراسة لابد من منهج ، وكانت هذه الدراسة قد أستخدمت اكثر من منهج فقد كان : اولا : المنهج التأريخي : وسيلة في دراسة وتتبع الظواهر والنظم الاجتماعية للجماعات ، وما طرأ عليها من تغير

منذ القدم وحتى الوقت الحاضر •

وثانيا : المنهج الوصفي : الذي افادنا في دراسة النظم والعلاقات من حيث بنيتها ووظيفتها للتعرف على خصائص الجماعات •

وثالثا : المنهج الوظيفي البنائي لتحليل وتبيان وظائف النظم والتفاعلات والتأثيرات المتبادلة بينها والتغيرات التي طرأت عليها ، ومهما تعددت هذه المناهج فبأمكاننا ان نقول اننا استخدمنا المنهج التكاملي في الدراسة • ذلك المنهج الذي يستخدم اكثر من منهج في دراسة النظم والظواهر الاجتماعية للجماعات الاقليمية •

٤ ـ مصادر وسائل جمع البيانات :

اعتمدت في جمع البيانات والمعطيات في هذه الدراسة على ما يأتي :

أ ـ الملاحظة بالمشاركة : participant observation

ب ـ المقابلة غير الموجهة : unguided interview

جـ ـ التعرف على تاريخ حياة الافراد والجماعات :

ثانيا : الدراسة :

النظم الاجتماعية[٨] والتوزيع الاقليمي للجماعات في حوض خزان حديثة •

تمهيد :

الجماعات الريفية والحضرية في حوض الخزان لا تعيش في الفراغ بل انها تعيش على الارض وضمن أطر من النظم الايكولوجية والاجتماعية والحضارية ، تلك النظم التي تسهم بدرجات متفاوتة في توزيع الجماعات في حوض الخزان في مستوطنات أقليمية تدعى

(بالقرى) أو (المحلات) حيث تكون البيوت السكنية فيها متجاورة بعضها بالقرب من البعض الآخر ، ومتمركزة حول بيوت رؤوساء الوحدات العشائرية والمحلية من ملاكي الارض أو ممن لا ملكية لهم ، وقد وجدت هذه المستوطنات بتأثير عدد من العوامل والنظم الايكولوجية والاجتماعية وفيما يلي سنعرض لكل منها بأيجاز .

النظم وتوزيع الجماعات :

١ ـ النظام الايكولوجي[٩] وتوزيع الجماعات : يمكن ان تحدد آثار البيئة الطبيعية في توزيع الجماعات الاقليمية في حوض خزان حديثة من دراسة :

أ ـ العامل الهيدرولوجي (المياه وتوفرها) :

ان جميع قرى حوض خزان حديثة تقع ضمن حدود المنطقة المناخية الجافة التي لا تتوفر فيها مياه الامطار في جميع أوقات السنة ، فمعدل سقوط الامطار ضمن حدود الاطار المكاني لهذه القرى يتراوح بين (٥ـ٢٠)سم ، (٢ـ٨) بوصة[١٠] وتسقط هذه الامطار في الفترة الممتدة بين كانون الثاني وشباط ، أما باقي ايام السنة الاخرى فلا يسقط فيها من الامطار شيء ، فعدد الأيام الممطرة سنويا اذا ما أردنا عدها في الاغلب الاعم تتراوح بين (٢٠ـ٣٠) يوما ، وهذه الايام تقع ضمن الشهرين المذكورين .

ان هذه الظروف المناخية أدت الى ان تكون مياه نهر

الفرات ، هي مدار حياة الانسان ونشاطاته وممارساتـــه في حوض خزان حديثة ، فمراكز الاستيطان والتجمـــع السكاني تقع في حوض النهر ، ولا تبعد عنه ، وان ابتعد عنه فليس كثيرا ، بل تظل ضمن أطار مياه حوض النهر والتي تجلب اليها المياه أما بواسطة (النواعير)[١١] او بواسطـة مكائن الضخ ، الوسيلتين اللتين تمكنان أنسان الحوض من تطمين حاجاته للمياه لأستخدامه في فعالياته الانسانيـــة والانتاجية المختلفة .

ب ــ ظروف البيئة الطبيعية :

ان ضيق وأتساع ، وأتصال وانقطاع اراضي السهل الرسوبي المحاذي لطول نهر الفرات من جانبيه ، من قريـة (أبو شابور) شمال حديثة ، وحتى قرية الحسينية الشرقية شرق (عنة) و (راوة) ــ كما مبين في خارطة رقم(١) و(٢) أدى الى خلق هذه النماذج من المستوطنات السكنية ، فهذه المستوطنات توجد حيث توجد الاراضي السهلية المتسعة على ضفتي نهر الفرات ، ويقل وجودها او تصغر مساحتهـا ، أو تنعدم في المناطق والضفاف التي تضيق أو تنعدم فيهـا هذه الاراضي ، حيث نجد ان اطراف وحافات الهضـــبة الصحراوية ، تكون محاذية لشواطىء نهر الفرات في كثير من المناطق فلا تترك أي مجال لتأسيس وقيام مستوطنات عـلى ضفاف الفرات اليمنى أو اليسرى[١٢] لقد أدت الظـروف

اقتبست عن الملف مشروع سد وخزان حديثة المطبوع في موسكو ١٩٧٥

خارطة رقم (٢)

موقع سد وحوض خزان حديثة

المقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠,٠

اقتبست من الملف مشروع سد وخزان حديثة المطبوع في موسكو ١٩٧٥

الطبيعية السابقة الى تباين مساحات ، وكثافات السكان في المستوطنات .

بل أن هذه الظروف حتمت على ان تكون أغلب المستوطنات في حوض خزان حديثة صغيرة المساحات وقليلة الكثافة سكانيا عدا مستوطنين كبيرين نسبيا ، وجدا لأتساع السهول المحاذية لنهر الفرات ضمن أطارهما وهاتان المستوطنتان هما : اولا : (عنة) . وثانيا (راوة) . ويبدو هذا واضحا من التعرف على الكثافة السكانية في مركز كل من هاتين المستوطنتين وفي القرى التابعة لكل منهما ، فعدد الاشخاص الذين يسكنون في مركز قضاء (عنه) بلغ (٦٧٦٨) نسمة وهؤلاء يؤلفون نسبة (٤ر٨٦٪) من مجموع سكان (عنه) ، بينما نجد الذين يسكنون المستوطنات الريفية المتعددة في (عنه) يبلغون (١٠٦٤) نسمة وهؤلاء يؤلفون نسبة (٦ر١٣٪) من سكان مركز قضاء (عنه) ، وما وجدناه في (عنه) نجده أيضا في (راوة) فالذين يسكنون في مركز (راوة) يبلغون (٤٩٧١) نسمة وهؤلاء يؤلفون (٤ر٧٦٪) من نسبة سكان راوة ، هذا بينما نجد ان الذين يسكنون في قرى ريف (راوة) بلغوا (٢٤٠٧) نسمة وهؤلاء يؤلفون (٦ر٣٢٪) نسمة من سكانها[١٣] .

جـ ـ الموقع :

موقع عدد من المستوطنات في حوض الخزان في

طريق (بغداد ـ دمشق أو حلب) للقوافل ، قبل مطلع العقد الثاني لهذا القرن ، والسيارات بعد هذا التأريخ ، وقبل فتح طريق (بغداد ـ رطبة ـ دمشق)[١٤] ساهم في نمو بعض المستوطنات في هذا الطريق بل يمكن القول ان هذا الطريق ـ قبل فتح طريق (الرطبة ـ دمشق) وانتقال حركة المواصلات اليه ـ هو السبب الذي أدى الى انتقال (عنه) القديمة من الجزر في وسط الفرات الى موقعها الحالي ، ليس هذا فقط بل أن هذا الطريق يمكن ان يكون هو السبب ايضا في اضمحلال قرى (عنه) في الضفة اليسرى من الفرات ، وبقاء قراها ومحلاتها الحالية في الضفة اليمنى منه ، ومما بلور نمو هذه المستوطنات والقرى كونها تقع في موقع أتصال أقليم الهضبة الصحراوية الرعوي بأقليم السهل الرسوبي الزراعي ، حيث جعل هذا الموقع منها محطات ومراكز للتبادل التجاري[١٥] ونجد خير من يمثل هذه المحطات والمراكز هي مدينة (عنه) . فقد كانت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية سوقا تكتال منه القبائل العربية البدوية الموجودة في البادية الشمالية أو بادية الجزيرة ما تحتاجه من حاجات وتبيع الفائض من منتجات حيواناتها[١٦] .

٢ ـ النظام العشائري :

ينطوي هذا النظام في مضمونه ومنطواه على ضرورة الالتزام بالتعاون والتضامن بين اعضاء الجماعة العشائرية الواحدة في

السراء والضراء وفي أوقات السلم والغزوات ، ليس هذا فحسب بل أن هذا النظام يفرض ويلزم أعضاء الجماعة العشائرية الواحدة بالسكن قرب بعضهم البعض ، ليتمكنوا من تكثيف عمليات التعاون وعلاقات التضامن ، وليستطيعوا من توفير الامن والحماية لكل من ينتمون الى الجماعة من هجمات الاعداء وغزوات اللصوص ، فقد كانت الجماعات العشائرية قبل فترة التغييرات الاجتماعية والحضارية التي طرأت على تنظيماتها وعلاقاتها ، منذ بداية العقد الثالث لهذا القرن ، وحدات اقتصادية واجتماعية حضارية ، حيث يساهم افراد كل جماعة من الجماعات في الانتاج ، ليتمكن من العيش جميع من ينتمون الى الجماعة ، ليس هذا فقط بل ان جميع افراد الجماعة العشائرية يسهمون في تحمل نفقات الضيافة والدفاع ، والجميع يتماثلون ويتشابهون في القيم والعادات والاعراف والانماط السلوكية والاساليب الحيوية ، فالتنوع والتباين ضعيف ، بل يكاد يكون غير ملحوظ ، فالجزء يماثل الكل والكل يماثل الجزء ، أما خلال فترة التغييرات الاجتماعية والحضارية التي طرأت على الابنية الاجتماعية لهذه الجماعات العشائرية ، فأن علاقات التعاون والتضامن والتماثل قد بقيت على ما هي وأن تغيرت نسبيا بشكل أو بآخر فالتمايز الاقتصادي والاجتماعي والطبقي الذي طرأ خلال هذه الفترة لم يمنع الفلاحين وأصحاب الحيازات والملكيات المتوسطة والصغيرة من أن يعملوا في أنجاز العمليات الزراعية ، مع العمال الزراعيين الاجراء أو الفلاحين المحاصصين[١٧] ممن

يعملون لديهم وممن ينتسبون الى نفس جماعاتهم العشائرية ، وهذا التعاون لا يقتصر على المجالات الاقتصادية ، بل يتعداها الى التعاون في المناسبات والممارسات الاجتماعية المفرحة والمحزنة

من أجل ان يعم الفرح والسرور جميع اعضاء الجماعة العشائرية ، ومن أجل مواساة المنكوب بوفاة ، أو المتعرض لمشكلة من المشكلات . وكل ضروب التعاون تدلنا دلالة واضحة على أن التمايز والتفاضل الطبقي والاجتماعي لم يستطع ان يباعد بين من

لديهم حيازات وملكيات زراعية وبين من ليس لديهم هذه الحيازات والملكيات اضافة الى أن التغييرات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على النظم الاقتصادية والاجتماعية التي تؤلف الابنية الاجتماعية والحضارية للجماعات العشائرية والمحلية في حوض خزان حديثة ، لم تستطع تغيير ملامح الحياة الاجتماعية بصورة جذرية ، فما زالت الملامح التقليدية للنظام العشائري تفعل مفعولها

بكثافة أعلى من كثافة مظاهر الحياة الاجتماعية التي دخلت حياة ونظم هذه الجماعات بفعل التغييرات التي طرأت على هذه الجماعات ، لذلك نجد ان بقاء الملامح التقليدية لهذه الجماعات ما زال يسهم في بقاء افراد هذه الجماعات يعيشون في مستوطنات أقليمية عشائرية مغلقة نسبيا ، فدرجة الانفتاح بتأثير التغيير لم تستطع أن تخلق مستوطنات مفتوحة تضم اليها جماعات من أصول عشائرية مختلفة بدرجة كبيرة .

٣ ـ النظام السياسي :

ان أنعدام الامن وسيادة الغزو بين القبائل في الريف العراقي لظروف عديدة بصورة عامة ومنطقة حوض الخزان بصورة خاصة منذ سقوط الدولة العباسية عام ١٢٥٨م وحتى عام ١٩٢٠[١٨] شجع على السكن في هذه النماذج من المستوطنات الاقليمية العشائرية لحماية انفسهم من الغزو والاعتداءات العشائرية الفردية والجماعية ، حيث تعاقبت على حكم العراق حكومات ضعيفة ، لم تمتد سلطتها ونفوذها الى خارج المدن . ولم تستطع ان تحافظ على الامن والاستقرار وحماية الجماعات في المستوطنات الريفية او الحضرية فقط ، بل أننا نجد ان المستوطنات في حوض الخزان كانت الى نهاية العقد الثالث من هذا القرن معرضة لغزوات وهجمات العشائر البدوية ، المتنقلة في البادية الشمالية وبادية الجزيرة كعشائر (عنزة) و (شمر) و (العكيل) و (السلمان) ، فقد كانت هذه العشائر تهاجم وتغزو هذه المستوطنات فتأخذ من ممتلكات سكانها ما وجد تحت يديها لذلك لجأ سكان هذه المستوطنات الى اتقاء شر هذه الغزوات بالتجمع في مستعمرات أقليمية حماية لنفسهم وأن تعذر عليهم أمكانية حماية انفسهم ، فأنهم كانوا يدفعون (الجزية) أو (الخاوة) على حد تعبير كبار السن من سكان هذه المستوطنات .

٤ ـ النظام العسكري والاهمية الاستراتيجية :

لقد وجدت اكبر مستوطنة من المستوطنات في ، حوض خزان حديثة ، تلك هي مستوطنة (عنه) لموقعها العسكري

والاستراتيجي الذي كانت تحتله قديما ، فقد كانت قديما تقع على طريق الفرات الممتد بين العراق والشام وكان لهذا الطريق اهمية عسكرية واستراتيجية فهو المر الرئيسي للغزاة والفاتحين في اثناء طريقهم الى وادي الرافدين ، أو في اثناء خروجهم منه لهذا نجد ان (عنه) كانت قد تأسست في الاصل على ما تروي المصادر التأريخية في جزيرة (القلعة) والجزر المحاذية لها وسط الفرات قرب موقعها الحالي للدفاع ضد الغزاة والفاتحين[١٩] ويقال ان الذي اسسها في موقعها هذا ، هو الملك الاشوري (توكولتي نينورتا الثاني) في (٨٨٩ ــ ٨٨٤ق٠م) وفي خلال هذه الفترة ، كانت ترتبط بضفتي نهر الفرات ، بواسطة جسرين ، ثم انتقلت في مراحل لاحقة من موقعها هذا الى ضفتي النهر ، وفي القرن السابع عشر اضمحلت الضفة اليسرى ، وبقيت الضفة اليمنى التي تمثلها مدينة (عنه) الحالية[٢٠] ويمكن القول ان مدينة (راوة) ، اسست قبل اربعة قرون على انقاض الاطراف اليسرى الشمالية ، لضفة (عنه) اليسرى القديمة ، التي اضمحلت واندثرت .

ان الاهمية الاستراتيجية لمدينة (عنه) ما زالت باقية حتى الوقت الحاضر ، فهي اكبر تجمع سكاني اقليمي يمكن ان يكون اول خط دفاع عن حدود قطرنا الشمالية الغربية ، فالتجمعات السكانية الاقليمية الاخرى التي توجد ، في اعالي الفرات ، انما هي قرى وتجمعات صغيرة قليلة العدد والكثافة وهي مكشوفة ، ومبعثرة ، ولاتملك الخصائص الدفاعية الطبيعية والموقعية والسكنية التي تملكها مدينة (عنه) حيث ان هذه المدينة محاطة

بسوار من الهضاب والتلال والمياه يمنع الاعداء ، من دخولها والسيطرة عليها ، الا بصعوبة فمن جهاتها الشمالية الغربية والجنوبية الغربية ، تحيط بها سلسلة من الهضاب والتلال ، ومن الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية الشرقية ، يحيط بها نهر الفرات ، لهذا نجد ان هذه الحدود والموانع الطبيعية ، ساعدت سكانها على الدفاع عنها ضد هجمات الغزاة ، لهذا بقيت (عنه) القديمة في مكانها ، على ممر العصور ، وتعاقب الازمنة ، ولم تضمحل كما اضمحلت الكثير من المدن العراقية القديمة .

واخيرا . يمكن القول ان للاهمية الاستراتيجية والعسكرية أثرا في تأسيس ، وبقاء ، والاهتمام بمدينة (عنه) . وان هذه الاهمية ، تبين لنا ، انه من الضروري مستقبلا ، وبعد انغمارها بمياه سد حديثة وخزانها ، ان توجد مدينة او مستوطنة بشرية توازيها سكانيا ودفاعيا في حدودنا الشمالية الغربية لتقوم مقامها في الدفاع عن هذه الحدود .

ومهما يكن من امر الاهمية العسكرية واثرها في توزيع وتأسيس وبقاء بعض المستوطنات في اعالي الفرات ، وخاصة مدينة (عنه) ، فبالامكان القول ان النظم الاجتماعية اسهمت بشكل او باخر في توزيع الجماعات الاقليمية في اعالي الفرات .

النتائج والتوصيات :

يمكن ان نخلص من كل ما سبق ، الى ان النظم الاجتماعية ، في حوض الخزان ، اسهمت بشكل او بآخر ، في تشكيل أنماط التوزيع

الاقليمي للجماعات في هذا الحوض ، وقد أدى هذا التوزيع الى جملة نتائج ترتبت عليها جملة توصيات ، سنعرض لها في هذه الخلاصة الموجزة ، والتي يمكن الاسترشاد بها نسبيا عند التخطيط لأعادة اسكان اهالي الحوض ، في المدينة الجديدة ، وهذه النتائج هي :

١ ـ أن وجود (١٣ر٦٠٠) نسمة[٢١] من سكان حوض الخزان في مركزي (عنه) و (راوة) أدى الى انخفاض تكاليف الخدمات العامة ـ كالمدارس ، والمستشفيات ، والمحافظة على الامن ، والخدمات المنزلية ، كالكهرباء والماء ـ في هذين المركزين ، ووجود (١١ر٨٠٠) نسمة من أهالي الحوض في (٦٦) ستة وستين قرية صغيرة بمعدل سكن (١٧٨) نسمة في كل قرية من هذه القرى التي تنتشر في السهل الرسوبي الضيق لنهر الفرات والممتد مسافة (١٣٠) كيلو متراً من قرية (أبو شابور) شمال حديثة حتى (قرية الحسينيةالشرقية غرب (عنه) [ينظر الى خارطةرقم (١) و (٢)] ان هذا العدد والمساحة والكثافة السكانية المنخفضة، ادى الى ارتفاع تكاليف الخدمات العامة والتسهيلات المنزلية في هذه القرى ، وادى ايضا نسبيا الى ندرتها وقلتها حاليا .

٢ ـ ان التوزيع الاقليمي للجماعات والمجتمعات المحلية الريفية ، بدرجة كبيرة ، والحضرية بدرجة أقل ، (عنه) و (راوة) ، على أساس العلاقات القرابية العشائرية والروابط المكانية المحلية ، يسر بصورة او باخرى التماسك والتضامن والتعاون الاجتماعي والاقتصادي ، وأدى الى ما يأتي :ـ

أ ــ ان وجود العلاقات الاولية المباشرة والاتصالات الشخصية بين افراد كل جماعة في المستوطنات ، مما وفر الطمأنينة الاجتماعية والاستقرار النفسي والشخصي .

ب ــ وان وجود التعاون الاقتصادي بدرجات متفاوتة في مختلف مجالات الحياة والفعاليات الانتاجية المعاشية ، مكن كل جماعة من الجماعات ، وكل مجتمع من المجتمعات المحلية ، من أمرار وتجاوز الازمات الاقتصادية ، كأزمة (٢٩ــ١٩٣٣) العالمية التي تأثر العراق بها ككل ، والجماعات في حوض الخزان تبعا لذلك ، وكأزمات القحط والمجاعة[٢٢] بسبب ندرة الانتاج او أنعدامه ، أو تعرضه للآفات الزراعية كالجراد .

جـ ــ وكذلك جمود البناء الاجتماعي والانغلاق الحضاري للجماعات في حوض الخزان بدرجات متفاوتة أدى الى ضعف الحراك والنقلة الاجتماعية Social mobility بأنواعها المختلفة : الافقية والعمودية والاقتصادية والمهنية، فالحراك الافقي والاقتصادي المتمثل بحركة الهجرة وتغير المهنة في المستوطنات الريفية ومتيسر نسبيا في (عنه) و (راوه) اكبر مستوطنتين حضريتين حيث نجد الهجرة ظاهرة مألوفة وشائعة فيهما ، بل أننا نجد آثار الحراك الاجتماعي العمودي والسياسي موجودا في هذين المركزين ، ويعزى ذلك الى وقوعهما على طرق المواصلات بين العراق وسوريا اولا ، والى عدم توفر

الارض الزراعية للسكن والانتاج ثانيا ، وكونهما المركزين الاداريين والثقافيين الرئيسيين في حوض أعالي الفـــرات ثالثا واخيرا •

٣ ــ وان وجود الحراك الاجتماعي ، ومعظم سكان حوض الخزان في (عنه) و (راوه) ــ كما رأينا ــ ادى الى تعرض هذين المركزين الى التغير الاجتماعي والحضاري ، كما اضعف شدة التصاقهم بالارض ، وبالتالي يسر تقبلهم للحركة والنقلة الاجتماعية •

٤ ــ واخيرا فان الاهمية الاستراتيجية والعسكرية للمستوطنات الاقليمية بصورة عامة ومستوطنة (عنه) خاصة في الحفاظ والدفاع عن حدودنا الشمالية الغربية تدفعنا مستقبلا ــ بعد انغمار هذه المستوطنات بمياه خزان حديثة ــ الى ايجادمستوطنات او مستوطنة ذات كثافة سكانية عالية في حدودنا الشماليةالغربية في مؤخرة الاطراف الخلفية لخزان حديثة لتقوم بمهمات الدفاع عن حدودنا ولتسهم في سد التخلخل السكاني في تلك المناطق •

التوصيـــات :

بناء على النتائج السابقة ، يمكن ان نقتـــرح بعض التوصيات الاولية التي قد تخدمنا نسبيا عند التخطيط لاعادة اسكان اهالي حوض الخزان في المدينة السكنية الجديدة ، وهـــذه التوصيات تتمكن أن نجملها بما يلي :ــ

١ ــ ان توزيع أهالي حـوض الخزان في المستوطنات الحاليـة على أسـاس الروابط الدمـوية والعشـائرية • وعلاقات

الجـــوار المحليـــة ، أدى الى جمـــود الابنيـــة الاجتماعية والحضارية لهـــذه الجماعات بدرجات متفاوتة ــ كما رأينا ــ وقد ترتب على هذا الجمود والركود بقـاء النظم العشائرية والمحلية التقليدية محددة من فرص الحراك الاجتماعي الواسع بأنواعه ، وقلل من مكانة ودور المرأة في الانتاج وموقعها في الجماعة ، وتزيد من الاتكالية والقدرية، وتضعف الحوافز والمبادرات الفردية ، وتعوق عمليـــات التغير والتنمية الاقليمية والقومية ، لذلك بات من الضروري ان تغير هذه الأبنية الاجتماعية من الجمود الى الحـــركة والانفتاح ، من خلال أعادة الاسكان في المدينة الجديدة ، بشرط ان تؤدي عملية اعادة الاستيطان هذه الى أذابة القيم العشائرية والعلاقات والروابط الدموية والمحليـــة ، وذلك عن طريق عـــدم أسكان الاقارب العشائريين والمحليين في بيوت قرب بعضهم البعض .

٢ ــ أن توزيع السكان الريفيين في حوض الخزان في (٦٦) ست وستين قرية على هيئة وحدات قروية واستثمارية زراعيـــة صغيرة ، عملية غير أقتصادية ، فالخدمات العامة والتسهيلات المنزلية تعد ذات كلفة عالية وغير أقتصادية ، والانتـــاج الزراعي محدود ، والدخل الفردي والقومي قليل ، لذلك يمكن ان نقول ان عملية اعادة اسكانهـــم في مستوطنات جماعية زراعية او صناعية لها آثار ايجابيـــة في التنميـــة الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي في التنميـــة الاقليميـــة

والقومية في قطرنا .

٣ ـ ان سكن اغلب اهالي حوض الخزان في اكبر مركزين حضريين هما (عنه) و (راوه) وتقبلهم للتحضر والتغير والحراك الاجتماعي ، يسر وبسط وأعطى مرونة كبيرة لامكانية نقل الاهالي من مستوطناتهم الحالية الى المستوطنات السكنية الجديدة ، فهذه العملية لا تصادف صعوبة كبيرة في الاغلب الاعم من قبل من هم في سن العمل والانتاج ، فهؤلاء مرنون يتقبلون الانتقال والتغير ، وان صادفت هذه العملية مقاومة فهي جزئية ومحدودة وتكون غالبا من قبل كبار السن والمحافظين منهم .

٤ ـ واخيرا يمكن ان نقول ان للتجمعات السكانية الاقليمية في اعالي الفرات بصورة عامة ، ومستوطنة (عنه) خاصة اهمية استراتيجية وعسكرية في الدفاع عن حدودنا الشمالية الغربية .

هذه هي اهم التوصيات التي خلصنا اليها في ضوء نتائج الدراسة الحقلية للجماعات في سد حديثة وخزانها .

الهوامش والمراجع

اولا : الهوامش :

١ ـ سد حديثة يقع في اعالي نهر الفرات ، على بعد سبعة كيلومترات، من مقدمة مدينة حديثة ، بالقرب من قرية ابو (شابور) (ينظر خارطة رقم ١ و٢) ، ويبلغ طول السد ٨٣٠٠ مترا وعرضه ١٢ مترا ، وارتفاعه (٥٥) مترا ، وسيكون السد خلفه خزان حديثة الذي تبلغ مساحته ـ عند منسوب (١٤٣) مترا ـ ٤١٥ كيلومترا مربعا ، بطول ١٤٣ كيلومترا ـ على

امتداد نهر الفرات ـ وعرض (٣) كيلو مترا ، وعمق (١٦) مترا وسوف يغمر هذا الخزان ارضا مساحتها (١٤٧ر٦٠٠) مشارة منها (٢٢ر٣٢٠) مشاره ارض زراعية ، مفروس فيها (١٢١ر٤٠٠) نخلة ، و (١١٣ر٤٠٠) شجرة مثمرة و (١٢٧) ناعورا و (٤٠١٠) بناية و (١٣٠) كيلومترا طرق مواصلات ، و (٦٦) قرية ـ يسكنها (١١ر٨٠٠) نسمة ومدينتين (عنه وراوة) اللتين يسكنهما (١٣ر٦٠٠) نسمة ، ويهدف هذا المشروع الى السيطرة على مياه نهر الفرات واستثمارها في الرى وتوليد الطاقة الكهربائية، فالخزن الاجمالي في خزان حديثة سيكون (٦ر٤) مليار متر مكعب ماء منها (٦ر٢) مليار متر مكعب خزن حي ، وتحت الظروف الاعتيادية ، وبمساعدة الخزن في خزان الحبانية، يمكن تامين وارد مائي لنهر الفرات بمعدل (١٥ر٤) مليار متر مكعب الى مستوى عام ١٩٨٥ ٠ وبمعدل (١٢ر٢) مليار متر مكعب الى مستوى عام (١٩٩٥) وسوف يترتب على هذه الزيادة في الموارد المائية ، زيادة في مساحات الاراضي المروية للاعوام (١٩٨٥ـ١٩٩٥) بما يعادل (٢٤٠ـ٢١٠) الف هكتار ، هذا بخصوص الزيادة في الموارد المائية والمساحات التي سوف تروى بها ، اما بخصوص الطاقة الكهربائية فان المشروع سوف يولد (٥٠٠) ميكا وط (ستة وحدات توربينية) وفقا للطاقة التصميمية للمشروع ، وسوف تبلغ (٤٨٥) ميكا وط عند ربطها بشبكة الكهرباء الوطنية على مستوى عام (١٩٨٥) و (٤٨٠) مكا وط على مستوى عام ١٩٩٥ ، وكلفة هذه الطاقة ، ستكون خمس كلفة الطاقة المتولدة من محطات الكهرباء الحرارية ، هذا وسوف يترتب على الزيادة في الموارد المائية والطاقة الكهربائية زيادة في الدخل القومي بمعدل تسعة ملايين واربعمائة الف الى ثمانية ملايين وثلاثمائة الف مليون دينارا ، وجملة تغيرات اجتماعية وحضارية تتعرض لها الابنية الاجتماعية للجماعات في اعالى الفرات سنعرض لها في منطويات البحث اعلاه ، ينظر :

١ ـ المجلس الزراعي الاعلى : انجازات وتطلعات ، بغداد ، مطبعة المساحة ، ١٩٧٦ ٠

٢ ـ وزارة الري ، مديرية الخزانات والسدود « خلاصة التقرير التخطيطي لمشروع سد حديثة » ١٩٧٥

٣ ـ وزارة التخطيط ٠ هيئة التخطيط الاقليمي « التقرير الاولى لتخطيط اقليم اعالى الفرات » تشرين الاول ١٩٧٥

٢ ـ علاءالدين جاسم محمد « الملامح الاجتماعية والحضارية للمجتمعات الواقعة في حوض سد حديثة وخزانها » ينظر : وزارة التخطيط : هيئة التخطيط الاقليمي « التقرير الاول : التخطيط الاقليمي لاعالي الفرات » تشرين الاول ٠ ١٩٧٥ ٠ ص٢٤٥ـ٢٥٧

٣ ـ الحراك الاجتماعي : يقصد به الحركه الافقية او العمودية في الوضع الاقتصادي والمكانة الاجتماعية والسياسة للجماعة او الفرد داخل التدرج الاجتماعي للبناء الاجتماعي في المجتمع : ينظر

Sorokin, P.A., "social mobility" (E.S.S.) volume nine, (N.Y). 1959. pp. 554-555.

٤ ـ التقرير الاول لاعالى الفرات ٠

٥ ـ المقصود بالجماعة الاقليمة في مصطلحنا اعلاه المستوطن الريفي (القرى) والحضري (المدن) ٠

٦ ـ ابرز واهم هذه القرى من حيث عدد السكان والفعاليات الاقتصادية القرى الآتية : قرية السهلية ، الزاوية ، المعاضيد الشرقية ، المعاضيد الغربية ، الجزانية ، جيني الغربية ، جيني الشرقية ، المشهد ، الحسينية الشرقية، العجامية ، اشكال ، غرير ، خلخالة، البجارية ، جرنه، شحمة، الوس ، السواري ، السوريه ، الطزليه ، النطرية ، وهوارنه ، رزجه البوحيات ٠

٧ ـ هاتان المدينتان هما (عنه) و (راوة) ٠

٨ ـ النظم الاجتماعية social systems : وهي مجمل العلاقات الاجتماعية المقننة والمكررة والتي تنظم التفاعلات الاجتماعية التي تدور بين أفراد الجماعات من جهة ، وبين افراد هذه الجماعات والبيئة الطبيعية المحيطة بهم من جهة اخرى ينظر : الدكتور احمد ابو زيد : (البناء الاجتماعي : مدخل لدراسة المجتمع) الجزء الثاني (الانساق) ، الاسكندرية دار الكاتب العربي ٠ ١٩٦٧ ، ص٩ـ١١ ٠

٩ ـ النظام الايكولوجي Ecological system

ويعني بدراسة العلاقات والتفاعلات المتبادلة بين الجماعات وبيئاتها الطبيعية وظواهر هذه البيئة : ينظر :

Hawley, H.A., "Human Ecology" The Theory of community structure, (N.Y) 1950. p. 30.

١٠ ـ الدكتور جاسم محمد الخلف « محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية ، والبشرية » القاهرة معهد الدراسات العربية العليا ، الطبعة الثانية ١٩٦١ ص١١٦ ٠

١١ ـ النواعير : جمع ناعور ، وهي آلة لرفع الماء ، تدار بواسطة التيار المائي ويصنع من عيدان التوت والغرب والمشمش والصفصاف ، ويرفع الناعور الماء من النهر الى ارتفاع معين ليصبه في ساقيات معدة لهذا

الغرض فتوزع المياه الى الحقول بأوقات معينة مقسمة تقسيما زمنيا حسب الاتفاق وقد تكون هذه الساعات ليلا وقد تكون نهارا وللاتفاق على توزيع مياه الناعور ، وبنائه مضامين اجتماعيه تعاونية تسهم في تكثيف علاقات التضامن والتعاون بين الافراد الذين يسهمون في بنائه والذين يوجدون داخل المستوطنات الممتدة من (ابور شابور) الى (الحسينية الشرقية) هذا ما سنعرض له في دراسة قادمة : ينظر :

١ ـ مالبيارد «نواعير الفرات» ترجمة الدكتور حسين كبة، ص٤٣ـ٤٦
٢ ـ عبدالرزاق الحسني « العراق قديما وحديثا » ص٦٢ ٠

١٢ ـ الدكتور جاسم محمد الخلف « المرجع السابق » ص٥٠ـ٥١ ٠
١٣ ـ وزارة التخطيط : هيئة التخطيط الاقليمي « تقرير تخطيط اعالى الفرات » ٠

١٤ ـ عبدالجبار الراوي « البادية » ص١٤٩ ٠
١٥ ـ الدكتور عبدالرزاق عباس « نشأة مدن العراق وتطورها » معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ص١٠٣ ٠
١٦ ـ ينظر في ذلك :
أ ـ مكي الجميل « البدو والقبائل الرحالة في العراق » بغداد ، مطبعة الرابطة ١٩٥٦ ، ص٢٤٦ـ٢٥٢
ب ـ أحمد جواد العامل « قصائد من البادية » بغداد ، وزارة الاعلام ١٩٦٣ ص٥ ٠

١٧ ـ المحاصصون هم العمال الزراعيون الذين يشتغلون بنظام الحصة الذي تسميه دورين ورنر بنظام المزارعة بالحصة share-cropping حيث يقسم المحصول بين المالك والمزارع بنسب معينة ـ ينظر :
Warriner, O., "Land Reform and development in the Middle East" (O.U.P. London, 1962. p. 130.

١٨ ـ لونكريك ستيفسن هيمسلي « اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » ترجمة جعفر خياط ، الطبعة الثالثة ، بغداد ، مطبعة البرهان ٠ ١٩٦٢ ٠ ص١٣ وما بعدها ٠

١٩ ـ طه باقر « مقدمة في دراسة تاريخ الحضارات القديمة » القسم الاول العراق القديم ، بغداد ١٩٥٥ ، ص٢٠ ٠
٢٠ ـ ساجده العزي « بلدة عانه ومنارتها الاثرية » بغداد ، مجلة (سومر) ، المجلد السابع عشر ، الجزء الاول والثاني ١٩٦١ ٠ ص ١٩٨ وما بعدها ٠

٢١ ـ التقرير الاول لأعالى الفرات ، المرجع السابق ٠
٢٢ ـ تمر سنوات قحط ومجاعة ، فالاهالي في حوض الخزان يذكرون هذه السنة ، فهم يذكرون أن السنة الفلانية ، كانت سنة جراد او (مجاعة)

ثانيا : المراجع :

اولا : المراجع العربية :

أ ـ كتب :

١ ـ الدكتور احمد ابو زيد « البناء الاجتماعي : مدخل لدراسة المجتمع » الجزء الثاني (الانساق) الاسكندرية ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧

٢ ـ ساجده العزي « بلدة عانه ومنارتها الاثرية » بغداد ، مجلة (سومر) المجلد (١٧) ، ١٩٦١

٣ ـ طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات : العراق القديم » بغداد ، ١٩٥٥

٤ ـ عبدالجبار الراوي « البادية » ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣

٥ ـ الدكتور عبدالرزاق عباس « نشأة مدن العراق وتطورها » القاهرة ، ١٩٧٣

٦ ـ عبدالرزاق الحسني « العراق قديما وحديثا » بغددا الطبعة الرابعة ، ١٩٧٣

٧ ـ لونكريك ستيفسن هيمسلي « اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » ترجمة جعفر خياط ٠ بغداد ، مطبعة البرهان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٢ ٠

٨ ـ ماليبارد « نواعير الفرات » ترجمة الدكتور حسين كبة ، بغداد ، مطبعة الرابطة ٠ ١٩٥٨ ٠

٩ ـ مكي الجميل » البدو والقبائل الرحالة في العراق « بغداد ، الرابطة ، ١٩٥٦ ٠

ب ـ تقارير وبحوث واطالس :

١٠ ـ وزارة التخطيط : هيئة التخطيط الاقليمي « تخطيط اقليم اعالى الفرات » بغداد تشرين الاول ، ١٩٧٥

١١ ـ وزارة الرى،مديرية السدود والخزانات « التقرير التخطيطي لمشروع سد حديثة » بغداد ١٩٧٥

١٢ ـ وزارة الري : اطلس مشروع سد وخزان حديثة ، موسكو ١٩٧٥

١٣ ـ المجلس الزراعي الاعلى « انجازات وتطلعات » بغداد ، مطبعة المساحة ٠ ١٩٧٦ ٠

ثانيا : المراجع الاجنبية :

14 — Hawley, A. H., Human Ecology; A theory of community studies, Ranald Press, (N.Y). 1950.

15 — Sorokin, p., Social mobility, E.S.S. Volume nine (N.Y) 1959.

16 — Warriner, O., "land and povery in the middle east, R.I.I. London. 1954.